الرواية الكاملة لمجزرة الافران الثلاثة في الأمين

شهـــود عيان يصفون تفاصيل الجريمة الارهابية المروعـــة

عبد القادر محمد

تكشف (المدى) في هذا التحقيق عن الوقائع الحقيقية للهجوم الدموي على ثلاثة افران في حي الامين قامت به مجموعة مسلحة من الملثمين. لقد انتابتنا الشكوك في الرواية التي نشرت في الصحف والتي اعتمدناها ايضاً واصفة اسباب المجزرة بانها تصفية حسابات او نزاع عشائري. كان هاجسنا بسيطاً وانسانياً: لماذا الخبازون؟ والآن نعرف ان المغدورين من عشائر متفرقة، وهم يعملون في ثلاثة افران وليس في فرن واحد، وعملية قتلهم جرت بتخطيط دقيق، والجزارون الملثمون اطلقوا النار على الضحايا بعد ان داسوا على الخبز والطحين وهم يصرخون: اللّه اكبر!

تفاصيل الحادث الارهابي

الافران التي كانت هدفاً للارهابيين ثلاثة، احدهما للمعجنات، والآخر للصمون والثالث للخبز، وتقع متجاورة في احد الشوارع العمومية من حي الامين الثانية، حيث حصد فيها الارهاب عشر ضحايا ابرياء كلهم من العاملين في الافران ومن بينهم طفل وقد وقع الحادث المروع في الساعة ٨,١٥ صباح يوم ١١ / ٢ / ٢٠٠٥, ذكر رب عائلة يسكن احد البيوت المقابلة لنا بانه قد سمع وهو داخل البيت صوت اطلاق نار كثيف. واكد القول بعض من سكان البيوت المجاورة ذلك. اصحاب المحال المقابلة والمجاورة لهذه الافران، وهي محال تصوير وبيع ملابس وبقالة وغيرها من المحال التجارية الصغيرة المألوفة في الشوارع الشعبية، اشاروا إلى انهم لم يكونوا قد افتتحوا محالهم بعد عند وقوع الحادث، وبدت على معظمهم علامات الحزن والغضب، وتوجس من وقوع اعمال مماثلة.

تقع هذه الافران التي هوجمت من قبل الارهابيين المسلحين على ناحية شارع متفرع من شارع عام، وهما فرنا الليث والسعادة، فيما يقع فرن الخبز داخل الشارع الفرعي ومتصل بفرن الليث للمعجنات. ولا تشير الدلائل إلى ان هذه الافران قد رفعت لافتات او صوراً مميزة من باب الدعاية للانتخابات كما زعم البعض، وبدت محالاً عادية وليس هناك ما يميزها سوى عملها.

ومن خلال النظر من وراء زجاج الابواب يمكن مشاهدة الدماء المتخثرة التي اصطبغت بها الجدران وارضية المخابز وآثار الرصاص الذي يبدو انه قد اطلق من خارج الفرن.

لقد كانت على واجهاتها صورة او صورتان من الصور المستخدمة في الدعاية الانتخابية حالها حال بقية جدران البيوت والمحال الاخرى المنتشرة على طول الشارع للقائمة الانتخابية ١٦٩، اضافة إلى لافتة من القماش على جانب فرن السعادة تعلن عن افتتاح جامعة الصدر في بغداد وتدعو الطلبة إلى التسجيل فيها. ذلك ما يمكن قوله فيما نسب من مزاعم على ان هذه الافران تتبنى جهة من الجهات تروج لها خلال الايام التي سبقت ايام الانتخابات الاخيرة في العراق.

هذه المزاعم قد روج لها من قبل آخرين بعيدين عن موقع الحدث واتضح بانها ضرب من ضروب التخمين ليس إلا.

احد الشيوخ كان بقربنا يتفحص داخل فرن وهو يرتدي كوفية وعقالاً سألناه إن كان موجوداً أثناء وقت اجهاز الملثمين على ضحاياهم، فأجاب بالنفي وسألنا كذلك آخرين جاء بهم حب الاستطلاع والوقوف على مرامي المهاجمين، وقد بدا عليهم التجهم وعلامات الاستنكار والغضب. لكن الجميع اشاروا باصابع الاتهام إلى "الوهابية" وعندما سألناهم عما يدعم اتهامهم هذا اجابوا بأنهم (أي الوهابية) من التكفيريين وقد استحلوا دماء بقية المسلمين من عباد الله. فهم يذبحون المسلم وفق طقوسهم وشعائرهم.

وكثير من الشهود يجمعون بان هؤلاء الملثمين كانوا يرددون عند قتلهم ضحايا الافران المساكين (الله اكبر. لا إله إلا الله).

المعلومات التي حصلنا عليها هنا افادت بان جميع الضحايا والبالغ عددهم عشرة وآخر جريحاً هم من سكنة قطاع واحد، وينتمون إلى عدة عشائر. وذكر لنا بعض المواطنين ان عدد هذه العشائر التي يعودون اليها هي تسع عشائر. وقد وصفهم البعض بأنهم اناس فقراء لاهم لهم سوى العمل وجمع قوت عوائلهم.

رواية شهود عيان

احد المواطنين وهو شاب في مقتبل العمر ذكر بانه كان موجوداً في مكان لا يبعد كثيراً عن موقع هذه الافران الثلاثة. ووصف لنا ما رآه بالقول:

كانت هناك اربع سيارات، واحدة نوع دايو بيضاء، واخرى حمل نوع تيوتا، والثالثة اوبل فكترا والرابعة BMW بلون ازرق داكن اثنتان منهما قطعتا الشارع واثنتان توقفتا كل واحدة امام فرن، ثم هجم القتلة منهما متوزعين على الفرنين والمخبز في وقت واحد بعد ان فرقوا من كان يقف خارج الافران يبتاع منها او يقف إلى جانبها، ومنهم امرأة تبيع القيمر كانت تجلس امام الفرن، فازاحوها بركلات من ارجلهم وكنت اراها وهي تقف لتسقط ثانية بفعل ضرباتهم الموجهة اليها.

وتحدث لنا شاب في العشرين من عمره صادف انه كان داخل احد الافران بقوله: داهم هؤلاء المسلحون الفرن (فرن السعادة) وكان في زاوية لا يرونه فيها، وقد شاهدهم وهم يرتقون مصطبة من مصاطب الفرن مفروش عليها الصمون الحار ليبرد، ثم راحوا يرددون كلمة (الله اكبر لا إله إلا الله) وكانت اقدامهم تدوس على الصمون وهم يطلقون النيران إلى صدور العاملين الضحايا، وقد قاومهم اثنان او ثلاثة من العاملين لكن الغلبة كانت لاصحاب الاسلحة. وقد ذكر بان المسلحين ارادوا القاء قنبلة يدوية على احد الافران بعد خروجهم لكنها انفجرت في ايديهم وقد اصيب عدد منهم تم نقلهم إلى داخل احدى السيارات، وقد تركوا احد اسلحتهم على ارض الشارع عندما لاذوا بالفرار بعد تنفيذ جريمتهم.

الطفل الشاهد

ويذكر طفل (١٢ سنة) كان في الداخل ايضاً بانه تم ضربه في ساقه من قبل احد الملثمين فوقع على الارض وعند نهاية عمليتهم قاموا بحمله من اجل الزج به داخل احدى السيارات، لكنه ذكر لهم بانه ليس من العاملين وانه قد جاء ليشتري الخبز لعائلته، فرموا به ارضاً. وذكر فيما ذكر بانه لم يألف لهجة المهاجمين حين كانوا يتكلمون فيما بينهم، ويعتقد بانهم يتكلمون لهجة "غير عراقية" حسب اعتقاده.

في مجالس العزاء

خلال تجوالي في حي الامين الثانية رأيت ثلاثة مجالس عزاء اقيمت للضحايا من قبل عوائلهم وقد احيطت هذه المجالس باجراءات وقائية، وكان هناك من يحمل السلاح ليرد الشر في حال وقوعه، وضعت بعض الاحجار وجذوع الشجر كعوارض تحسباً للسيارات المفخخة، وهذا يدل على ان الجميع شعروا بانهم باتوا هدفاً للارهاب والارهابيين.

دخلنا اول مجلس وقرأنا سورة الفاتحة على روح الضحية وقد كان الوقت وقت غداء، وكان المعزون يتناولون طعامهم حين دخلنا الخيمة. تعرفنا على شقيق وأبي الضحية وسألناهم ان كان لهم تفسير أو تعليل لمثل هذه الحادثة.

تكلم شقيق الضحية فذكر ان شقيقه من مواليد ١٩٦٧ وقد اصيب بطلق ناري في جبهته وتوفي حين تم نقله إلى المستشفى، واشار إلى ان ابنه وهو طفل يبلغ ١٠ سنوات من العمر كان بصحبة عمه، لكن الله شاء ان يبقيه حياً إذ كان داخل الحمام عند ما هوجم الفرن، وعندما سمع دوي الرصاص بقي لائذاً فيه ولم يعثر عليه الارهابيون. وعند سؤاله ان كان لهم اعداء فاجاب بالنفي. وعن ميولهم السياسية والدينية اجاب بانهم ناس في حالهم، يريدون معيشة عوائلهم لا غير، وهم من عشائر المياح. وبقية الشهداء يتوزعون على ثماني عشائر كلها من جنوب العراق، وكل العاملين هم في مقتبل العمر باستثناء صاحب احد الافران الذي قتل مع عماله وابن له.

اظهروا الحقيقة

لقد رجانا ايضاً بان ننقل الحقيقة كاملة إلى الناس وان لا نضيع الحقيقة كما فعلت بعض الوكالات ووسائل الاعلام من قنوات فضائية وغيرها التي وصفت الحادث بانه من باب تصفية حسابات عشائرية، والحقيقة هي انهم ناس ليس لديهم اعداء ولا يتمنون ذلك، ولا يودون إيذاء الغير، فهم ناس يريدون ان يعيشوا بسلام وطمأنينة، وان ما ذكر غير صحيح، وان على وسائل الاعلام ان تتأكد من صحة اخبارها قبل بثها.

الشرطة؟

والقى المواطن اللوم على وزارة الداخلية لكنه اشاد بشجاعة الحرس الوطني وذكر ان قوات الشرطة جاءت إلى المكان بعد مرور نحو ساعتين بل أكثر، وكل ما فعلته هو تفريق الناس بواسطة استخدام رشات من الطلق الناري العشوائي، وانه يطالب مركز الشرطة القريب من الحي بالاحتفاظ بالسيارة التي خلفها الملثمون، والتي وجدت في حي المعلمين، كذلك سلاحهم الذي وجد في الشارع. فهذه خيوط يمكن ان تقود إلى الجناة، ولقد اخبرني البعض بان السيارة التي كان يقلها هؤلاء نوع تيوتا حمل جاء من يسأل عنها من اهالي مدينة الفضيلية شرق حي الامين الثانية، كذلك السيارة الاخرى الذي ادعى آخرون

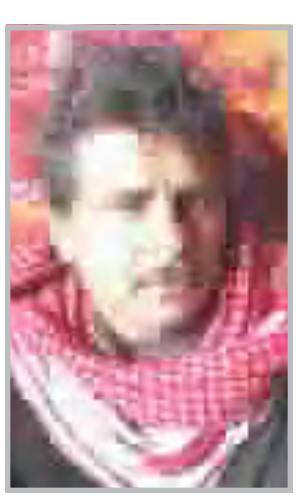

عائديتها لهم، وكلا السيارتين مسروقتان حسب الادعاء، وكان يجدر بالشرطة ان تحقق مع هؤلاء لعلها تكشف ما غمض من الامور لكنها لم تأخذ ذلك بالحسبان.

الأب المفجوع

كان شقيق الضحية يتحدث الينا وقبالته يجلس والده، وهو شيخ طاعن في السن لا يمكن لنا وصف حالة الحزن العميق التي اكتنفته ورجانا ابنه المتحدث"

ان لا نتعرض اليه بالكلام. لكنه خرج من صمته حين دعانا ابنه إلى الغداء وطلب منا الاكل رغم ان عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع، عند ذلك خرج الاب عن صمته وكنا في غاية الحرج.

فذوو الضحايا لم تنسهم مصيبتهم واحزانهم اصالة منبتهم وكرمهم الذي يبدو بانهم لن يتخلوا عنه في احلك الظروف... لقد كان جميع الحاضرين يتمنون علينا ان ننقل الحقيقة وان لا نعمد إلى تحليلها كيفما نشاء كما فعلت اجهزة الاعلام الاخرى. والذي لم يقولوه لنا هو انهم من اصول عشائرية رفيعة واصحاب نخوة ولا يضربون ضرب عشواء في مجلس الفاتحة عند حديثهم عن الجريمة،وامتنعوا عن اتهام أي جهة من الجهات لكنهم القوا باللائمة على الاجهزة الامنية بالاخص، وكذلك الناس الذين يتوجب عليهم الوقوف بوجه الارهاب وان يتعاونوا عليه مع الحكومة.

حقدود ودوافع إجرامية

ذوو الضحايا ممتعضون مما روجته وسائل الاعلام ويطالبون بذكر الحقيقة

الارهابيون جاءوا بأربع سيارات ونفذوا جريمتهم صباح الجمعة

وفي مجلس فاتحة اخرى تحدث الينا عم الضحية محمد سهيل وهو عامل فرن يبلغ من العمر ١٦ عاماً، ارداه الارهابيون قتيلاً مضرجاً بدمه من دون ذنب اقترفه. وقد تساءل عن دور الشرطة وعن دور اجهزة الامن وتساءل: اين هي لتمنع مثل هذه الجرائم المريعة التي نسمع بها في كل يوم وفي كل بقعة من العراق؟ وعن المجرمين قال بان صاحب "بسطية" الف الجلوس قرب الفرن يبيع المعلبات وغيرها وهو نصف مشلول من جانبه السفلي ذكر له بانه كان موجوداً وقت وقوع الجريمة وان الملثمين مروا به عند دخولهم، وقد سمع منهم لهجة لم يألفها عند العراقيين، ويحسب ان فيهم من كان سورياً وانه حين سمع بدوي الاطلاقات النارية زحف على بطنه ودخل احدى الدور المجاورة يحتمي بها. واضاف عم الضحية بانه يحسب ان الدافع وراء ذلك هو الحقد الاعمى الذي تكنه بعض الجماعات للعراق والعراقيين، وانه جاء ردة فعل لنجاح الانتخابات، وان على الدولة ان تحمي ناسها والا سوف يضطر الناس إلى التسلح لحماية انفسهم من دون الاتكال على الجهات الامنية التي اثبتت بانها غير كافية او كفوءة وانها يجب ان تتبع خيوط المجرمين هؤلاء لتصل اليهم بطريقة او بأخرى. فقد ذكر شهود عيان ان بعض المسلحين جرح بعد انفجار "رمانة" بيد احد المسلحين كان ينوي تفجيرها داخل احد الافران، فمن خلال هذا يمكن البحث عن المصابين داخل المستشفيات أو الجهات الصحية الاخرى.

غياب المبادرة الفردية

في مجلس فاتحة أخرى مع والد الضحية سالم عبد الرزاق محمد الذي قتل مع ولده (علي) داخل (فرن الليث) الذي يبيع المعجنات، وهو شيخ طاعن في السن لا يمكن وصف ما كان يختلج بداخله من لوعة وحزن على فقد ابنه، وحفيده، لكنه مع ذلك بدا لنا مكابراً ولا يريد ان يبدي ما بداخله، وكان يردد (الحمد لله، على أي حال) وفي مجلس الفاتحة هذا بدأ حوار يشارك فيه الجميع وأدلوا بآرائهم معبرين عن حالات غضب وحيرة، فذكر احدهم آسفاً بان الناس ايضاً قد تبدلت وتغيرت مع الظروف، ولقد ضعفت النخوة وروح المساعدة والنجدة في حين ان الظروف التي يمر بها البلد تحتاج إلى تكاتف الناس فيما بينهم والاخبار عن اوكار المجرمين والعصابات التي انتشرت في كل مدينة وحي.

تهديدات

ذكر لنا احد القائمين على خدمة المعزين في مجلس الفاتحة هذه عندما سألنا عن الدوافع والاسباب التي يمكن ان يعزوها لمجزرة عمال الافران البسطاء هؤلاء فقال: انه لا يستطيع ان يجد سبباً لذبح انسان مهما فعل فكيف له ان يستطيع تفسير قتل تسعة عمال مرة واحدة وبدم بارد من قبل ارهابيين ملثمين. لكنه يرى ان الارهاب موجه لكل عراقي من قبل عصابات مدعومة من ازلام النظام المباد ومجرمين عتاة اطلق سراحهم ذلك النظام مدفوعين باموال يحصلون عليها من الخارج، هدفه اشاعة الرعب والظلام في جميع اجزاء العراق ويضيف ان وراء هؤلاء السياسيين فقهاء مرتشين يدعون الناس إلى طلب الآخرة وهم يسعون إلى زيادة ارصدتهم في بنوك اوروبا مقابل فتاواهم هذه التي صاغوها من اجل البيع لا من اجل الدين الذي هو برئ منهم.

كانوا يلاحقوننا

فيما ذكر آخر انه من الذين نقلوا جثمان الضحية وولده إلى مستشفى مدينة الطب وانه رأى من كان يلاحقهم من الارهابيين الذين يبدو انهم ارادوا نصب كمين آخر لهم، فلاحقوهم إلى المستشفى وكانوا اشخاصاً ذوي لحى طويلة بداخل ثلاث سيارات، مما جعله يتصل باقاربه ليعلمهم الحال، وقد استطاع افراد العشيرة المسلحون الذين جاءوا إلى المستشفى بعد اتصالي بهم ان يخيفوا الارهابيين ففروا بسياراتهم وكانت مسألة ملاحقتهم غير مجدية.

وعن تهديدات كانت قد بدرت من الارهابيين للعمال الضحايا اجاب:

نعم سبق ان عثر احد العمال على عبوة ناسفة موضوعة داخل علبه كارتونية عندما كان يهم بفتح الفرن صباحاً وقد اكتشفها اثناء ركل علبة الكارتون فظهر فيها جسم غريب كان موصلاً باسلاك.

فاستدعى ذلك أن يتصل بالقوات المتعددة الجنسيات التي قامت بتفكيك هذه العلبة، وكان هذا الحادث قد جرى قبل شهر من وقوع هذه الحادثة الاليمة.

انهم الوهابية قالها متحدث بدا مدفوعاً بحزنه والمه الذي كان يشعر به في حين اجابه شيخ لمجلس قبالتنا باننا لا يحق لنا الاتهام من دون سند واضح. ولم يشاطره الرأي.

بقي القول ان الضحايا قد توزعوا على:- خمس ضحايا في فرن الليث للمعجنات وثلاث في فرن السعادة، وضحيتين في المخبز.

هذا ويبدو ان الشعور السائد لدى العشائر في حي الامين بان هذا الحادث المروع ما هو إلا رسالة يجب ان تؤخذ بالحسبان، وان الجميع يتوقع اعمالاً ارهابية اخرى قد لا تقل ترويعاً ووحشية عن مقتل عمال الافران.

ان تسع عشائر من عشائر الجنوب يقتل ابناؤها دفعة واحدة من دون سبب لا يعتقد بانه امر سوف يمر بسهولة، وان رد فعل هذه العشائر على الارهابيين سوف يكون شديداً، وقد يتمثل بان تتطوع هذه العشائر إلى جانب الحكومة للأخذ بثأرها من المجرمين بطريقة أو بأخرى: هذا ما أنبأتنا به وجوه الجميع من الرجال الذين تلفعوا بعباءات غليظة